معالم نظرية النقد الثقافي عند النقاد العرب "ادوارد سعيد" نموذجا.

منور عائشة
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
menouer75.aicha@gmail.com

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019-03-19	2019-06-11	2019-12-01

ملخص :

يعد النقد الثقافي نشاطا معرفيا منفتحا على جملة من التخصصات المجاورة للأدب، فهو مجال نقدي يستعين بأدوات إجرائية متنوعة المصادر، وما يميز هذا النقد هو سعيه دائما إلى تعديل الأدوات النقدية تعديلا ثقافيا، وليحقق ذلك وجب له أن يكون منفتحا على المجالات المعرفية والنقدية المجاورة. لقد شكلت إسهامات "إدوارد سعيد" جهدا نقديا وفكريا متميزا في رصيد هذه النظرية، كما أصبح مثالا للعالمية الثقافية والنظرية وتعتبر مدونته "العالم والنص والناقد" من المؤلفات المتميزة للمفكر التي سأحاول من خلالها الحديث عن جهود "إدوارد سعيد" في النقد الثقافي من خلال معالجته لموضوع النقد الدنيوي من جهة، وحديثه عن مفهوم الثقافة وما تشير إليه هذه الكلمة في نظره بما يخدم أهدافه من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس رأيت أن يكون موضوع المداخلة هو معالم نظرية النقد الثقافي عند النقاد العرب بأخذ إدوارد سعيد نموذجا للدراسة، وسأعتمد في ذلك المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، الثقافة، الدنيوية، النظرية الأدبية، النصية.

تمهيد:

يعتبر النقد الثقافي من أحدث التوجهات النقدية والمعرفية التي عرفها العالم الغربي، فهو نقد تجاوز الجمالية إلى نقد اهتم بالأنساق الثقافية خلف البناء اللغوي.لقد عملت القراءة البنيوية على عزل السياقات الخارجية مما جعل نظرة النقد نظرة مادية ليس لها أثر على المجتمع، فهو نقد ألسني ينتمي لمرحلة الحداثة، بينما النقد الثقافي يعمل على قراءة الأنساق المضمرة خلف الخطاب بكافة أنواعه وكشف أمرها مما أدى إلى مساعدة المجتمع للتطور، فالنقد الثقافي هو نقد ألسني ينتمي لمرحلة ما بعد الحداثة.

لقد تعددت المفاهيم لمصطلح الثقافة لأنه مصطلح عام وواسع في دلالته اللغوية والاصطلاحية، ونتيجة لهذا التعدد انعكس ذلك على النقد الثقافي الذي ينسب إليها والذي يتقاطع مع معارف إنسانية مجاورة، فهذا النقد هو حقل واسع ومتنوع ومتداخل مع الفلسفات والنظريات و المناهج النقدية، منها نظرية الأدب وعلم الجمال والتحليلين النفسي والفلسفي والنظرية الماركسية والتاريخانية الجديدة والأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم العلامات وغيرها.....

عرف العرب أبرز نشاط نقدي في بدايات هذا القرن والمتمثل في النقد الثقافي واعتبر بديلا عن النقد الأدبي واعتبروه التوجه الوحيد القادر على إخراج النقد العربي من التيه النقدي. وأول دراسة أعلنت موت النقد الأدبي وتبنت هذه النظرية الجديدة كانت للناقد عبد الله الغذامي الموسومة ب "النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية " الصادرة عام 2000م، ثم تالتها دراسات تبنت مقولات النقد الثقافي من أجل قراءة الخطابات والنصوص الأدبية قراءة ثقافية بغية الكشف عن الأنساق والتمثيلات الثقافية المضمرة داخلها.

مفهوم النقد الثقافي:

يتكون المصطلح من شقين: الثقافة ومنسوب إليها النقد ، لقد أخذت الثقافة مفاهيم عدة، كل حسب رؤيته.

الثقافة لغة: جاء في لسان العرب :" ثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا، وثقف الشيء حذقه ورجل ثقف لقف أي بين الثقافة واللقافة، والثقاف هو ما تسوى به الرماح"(1)، فالتثقيف والثقاف والثقافة معناه التقويم والتهذيب والتنقيح.

كما أن مادة (ثقف) وردت في الشعر العربي القديم على الرغم من أن المصطلح اقترب من الساحتين الأدبية والنقدية في الدراسات العربية حتى وقت قريب كما وردت عند علماء اللغة، فهاهو الجاحظ في كتابه البيان والتبيين يقول عن الشعراء في عنايتهم بشعرهم إلى درجة الجودة:"وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور بيتوه في صدورهم وقيدوه على أنفسهم فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير أبرزوه محككا منقحا، ومصفى من الأدناس مهذبا".(2)

الثقافة "هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط"(3)، فقد جمعت الثقافة بين الأخلاق والقيم الاجتماعية متمثلة في تلك السلوكات الممارسة في واقعه .

وهي"ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاقيات والقوانين والأعراف والقدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع"(4)، وعليه فإن الثقافة هي المعرفة، المعتقدات ، الأخلاقيات ، الفنون، العادات التقاليد ، الأعراف، وسيدة القوانين لا يجوز العبث بها، وهي خاصة بكل مجتمع وتختلف باختلاف المجتمعات.

النقد الثقافي لم يتقيد بموضوع أو منهجية معينة، بل حتى تعاريفه متعددة فمنهم من اعتبره نشاطا فكريا ، ورأى آخر على أنه ممارسة تقوم على دراسة الثقافة من نصوص متنوعة، ويعمل على ربط النص بمحيطه الثقافي، فهو نشاط وليس مجالا معرفيا قائما بذاته.

مفهوم النقد الثقافي يتسم بالاتساع والشمول و هو" كما يوحي اسمه نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"(5)، فالناقد بذلك يتعامل مع النص بالكشف من خلاله الأنظمة الثقافية التي تتشكل داخل منظومة مؤسساتية لأنه لا يهتم بدراسة النص ونقده بل يبحث في"ما وراء النص وليس النص نفسه"(6).

يرى الغذامي أنه "فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ماهو غير رسمي وغير مؤسساتي وماهو كذلك سواء بسواء.من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي"(7).

النقد الأدبي و النقد الثقافي:

اهتم النقد الأدبي بالنصوص الجمالية والبلاغية وركز على المنتوج الدلالي للغة النص، واهتم بالجانب الفني للكلمة داخل إطار النص ، فجاء النقد الثقافي الذي" يدرس الأدب الفني والجمالي

باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة، همه الكشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي"(8)، فهو ينظر إلى النص الأدبي باعتباره حدثا ثقافيا ، فالنقد الثقافي أوسع وأشمل من النص الأدبي، فاتساع إطار النصوص أدت إلى تحويل النقد الأدبي إلى نقد فاحص لمختلف الظواهر الأدبية والاجتماعية والسياسية، فقد لامس بذلك الخطاب الأدبي وتعداه إلى خطابات أخرى شملت نصوصها الإعلانات التجارية، الثقافة الشعبية، الطقوس، العادات، التقاليد... .

يقول الغذامي: "لقد أدى النقد الأدبي دورا مهما في الوقوف على (جماليات) النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي، مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي، وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة بالجمالي، الشعري والبلاغي، حتى صارت نموذجا سلوكيا يتحكم فينا ذهنيا وعمليا، وحتى صارت نماذجنا الراقية –بلاغيا- هي مصادر الخلل النسقي" (9).

فقد قام الغذامي بالإعلان عن موت النقد الأدبي وإحلال محله النقد الثقافي لأن الأول ليس مؤهلا للكشف عن الخلل الثقافي، فهو بذلك قد حول الأداة النقدية في القراءة في الجمالي إلى نقد الخطاب و كشف أنساقه.

النقد الثقافي عند ادوارد سعيد:

تعريف الناقد:

"هو مفكر وناقد فلسطيني أمريكي، واسع الثقافة جزيل الإنتاج، كان لكتابيه"الاستشراق" و"الثقافة الامبريالية" دوي واسع، ولد إدوارد سعيد يوم 1 نوفمبر/ تشرين الثاني 1935م في القدس، لعائلة مسيحية (من أب فلسطيني أمريكي وأم فلسطينية لبنانية) وترعرع في القاهرة ثم هاجر منها إلى الولايات المتحدة وحصل على الجنسية الأمريكية.

الدراسة والتكوين:

نال درجة البكالوريوس من جامعة برنستون في الولايات المتحدة عام 1975م ثم حصل على الماجستير عام 1960م وعلى الدكتوراه من جامعة هارفارد عام 1964م، كان يتقن العربية والإنجليزية والفرنسية، وملما بالإسبانية والألمانية والإيطالية.

الوظائف والمسؤوليات:

عمل إدوارد سعيد أستاذا للأدب المقارن بجامعة كولومبيا في نيويورك، إضافة إلى محاضراته في أكثر من مائة جامعة وعمله أستاذا زائرا في عدد من كبريات المؤسسات الأكاديمية في الولايات المتحدة، ومنها جامعة هارفارد عام 1974م، وجامعة جونز هوبكينز عام 1979م. وفي جامعة ييل في الفترة بين 1975-1976 أصبح زميلا لمركز الدراسات المتقدم للعلوم السلوكية التابع لجامعة ستانفورد، وحصل عام 1992 على منصب أستاذ جامعي، وهي أعلى درجة علمية اكاديمية في جامعة كولومبيا.نال عضوية في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ونادي القلم الدولي والجمعية الملكية للأدب والجمعية الأمريكية للفلسفة، بالإضافة إلى عمله رئيسا لجمعية اللغة الحديثة، ومحررا في فصلية الدراسات العربية.(10)

التجربة الفكرية:

أغنى إدوارد سعيد الساحة الفكرية العربية والعالمية، ويبقى كتابه "الاستشراق" الذي ألفه عام 1978م من أهم الكتب التي أعطته بعدا عالميا، فقد أثار ضجة واسعة وجدلا كبيرا في كثير من الأوساط العلمية والأكاديمية العالمية، وقد عمد فيه إلى تفكيك وخلخلة نظرة الغرب إلى الشرق ودحض الصورة النمطية التي اعتمد فيها المستشرقون على دراسات ومفاهيم قامت على أسس غير علمية.

وكشف في الكتاب علاقة الدراسات الغربية بالسلطة والنزعات السياسية، والاستثمارات الكبيرة التي خصصت لها، وكيف أصبح الاستشراق مذهبا فكريا- له خلفية سياسية – أنتج صورة عن الآخر(الشرق) برغبة تسلطية، تحكمية استعمارية وبين كيف أثر ذلك المذهب في تشكيل الوعي الغربي، وخلق انطباعا سيئا لدى المتلقي الغربي عن الشرق ونظرة سلبية مليئة بالتعصب على العرب والإسلام.(11)

الجوائز والأوسمة:

كرّم إدوارد سعيد عشرات المرات، ومنح العضوية في عدد من المؤسسات المرموقة، كما حصل على شهادات فخرية من جامعات عالمية، وحصل على جوائز عديدة منها "جائزة بودين" من جامعة هارفرد، وجامعة ليونيل تريلينغ، وجائزة ويليك من الجمعية الأمريكية للأدب المقارن، وجائزة سبينوزا، وجائزة أمير أستورياس.

الوفاة: توفي إدوارد سعيد في إحدى مستشفيات نيويورك يوم 25 سبتمبر/أيلول 2003م بعد أكثر من عشر سنوات من الصراع مع سرطان الدم.

مؤلفاته:

خلف "إدوارد سعيد" وراءه مجموعة هائلة من الأعمال النقدية والأدبية التي لا تزال ذات صدى واسع إلى يومنا هذا حيث"ألف العديد من الأعمال وطبقا لأحد المصادر يصل عددها نحو عشرين كتابا ترجمت إلى أكثر من عشر لغات وتدرس في المعاهد والكليات في الجامعات الأمريكية والأروبية"(12)، نذكر من أهم مؤلفاته:

-"جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية(1966م).

-البدايات، القصد والمنهج(1975م).

-الاستشراق(1978م).

-القضية الفلسطينية(1979م).

-تغطية الإسلام(1981م).

-العالم والنص والناقد(1983م)."(13)

كتاب"العالم والنص والناقد":

كان التأليف عام (1983م) ، وهو عبارة عن دراسات شاملة وعميقة وواسعة في الأدب العالمي ، فهو تجميع لعدد من أهم المقالات في النقد الأدبي، يعتبر كتاب "العالم والنص والناقد" من المؤلفات المهمة والمتميزة للناقد والمفكر.

نبه إدوارد سعيد من خلال الكتاب إلى العلاقة الحميمية بين النص وموقعه في المجتمع والواقع السياسي و الإجتماعي، حيث لابد على القارئ من البحث عن العلاقة بين الناقد والظروف المحيطة به مهما كان توجهه أو جنسيته أو عرقه أو جنسه، قسم كتابه إلى اثني عشر فصلا ، وفي القسم الأخير منه قام بمعالجة موضوع تعامل ثقافة قوية مع ثقافة أضعف منها، ومحاولة استعابها كما حدث في الغرب وتعامله مع الإسلام والعرب.وفي القسم الأول منه قام بدراسة أعمال كتاب كبار، مثل سويفت وهوبكنز وكونراد.

يقول "ادوارد سعيد":" إن المقالات المجموعة هنا مرتبة بثلاث طرق متداخلة، فأنا أولا أتفحص العالم الدنيوي، لا الروحاني الذي تحدث فيه النصوص والذي يلعب فيه بعض الكتاب المعنيين(من أمثال سويفت وهوبكنز وكونراد)، دور القدوة لاهتمامهم بتفصيل الوجود اليومي المعروف باسم الوضع والحدث وتنظيم السلطة. وإن التحدي الذي يطرحه هذا العالم الدنيوي أمام الناقد هو تعذر تقليص

العالم إلى مجرد نظرية توضيحية أو نظرية مبدئة ، ويتعذر تقليصه أكثر من السابق بكثير إلى مجموعة من التعميمات الثقافية. فهناك بدلا من ذلك عددا قليلا، ولربما على غير توقع، من سمات الدنيوية تلعب دورا في إدراك المرء من التجربة النصية، ومن بين تلك السمات، القرابة والتقرب، والجسد وحاستا البصر والسمع، والتكرار والتعدد المطلق للتفاصيل، وثانيا أنصرف إلى المشكلات الخاصة التي تعتور النظرية النقدية المعاصرة في مواجهتها أو تجاهلها المسائل المطروحة على بساط بحث النصوص(النصية)، من قبل العالم الدنيوي. وختاما أعالج في النهاية مشكلة ما يحدث حين تحاول الثقافة أن تتفهم ثقافة أخرى، أو تهيمن عليها، أو أن تقتنصها في حالة كونها أضعف منها"(14).

الدنيوية لدى "إدوارد سعيد":

استعمل "إدوارد سعيد" في مقدمة وخاتمة الكتاب مصطلحين متباينين :النقد الدنيوي/ العلماني الذي اعتبره النقد الموجه إلى الأمور الدنيوية، والنقد الديني الذي يدعو إلى التعامل مع النصوص الأدبية وكأنها مقدسة وثابتة، فالممارسة النقدية تقوم عنده على أربعة أشكال كما وضح ذلك في مقدمة كتابه منها النقد العملي، والتاريخ الأدبي الأكاديمي، والتقويم والتأويل من الزاوية الأدبية والنظرية الأدبية، فهذه الأشكال الأربعة تجاوزها في هذا الكتاب حيث قال:"ولئن كانت هناك من مساهمة يساهم بها ما دعوته في هذا الكتاب بالنقد أو الوعي النقدي، فهي محاولة تخطي حدود هذه الأشكال الأربعة"(15)

يرى" إدوارد سعيد" أن يوجد الأدب وكل الدراسات الإنسانية في صميم الثقافة، وأن تحظى الثقافة من خلالهما بشرف السمو والتعزيز كما أن"النظرية الأدبية الأمريكية أو حتى الأروبية صارت تتقبل الآن مبدأ عدم التدخل بلا تحفظ، وبأن طريقتها الخاصة في اقتناص موضوعها، لا يعني أبدا اقتناص أي شيء دنيوي أو ظرفي أو ملوث اجتماعي"(16).

نبه "إدوارد سعيد" إلى ضرورة الاهتمام بالعالم الاجتماعي والحياة البشرية لأنه يرى بأن النصوص دنيوية ، فلابد من معرفة الظروف التي نجمت عنها هذه النصوص، وعلى الناقد والنقد أن لايعزفا عن الدنيا لأن دنيوية النقد تتحقق عندما تتجلى في عمق الحياة الاجتماعية والسياسية فهو يحدد وجهة "الوعي النقدي نحو الدنيوية التي قد تساعد في غرس إحساس حاد تتطلبه القيم السياسية والاجتماعية والإنسانية في قراءة وإنتاج وبث كل نص"(17).

الدنيوية لدى هذا الناقد تكمن في العلاقة بين النص والواقع السياسي الذي ينتجه، فهو لا ينادي بموت المؤلف "فهو حاضر دوما بواسطة قصدية ملموسة على الرغم من أن الضغوط الاجتماعية تؤثر

فيه، وبالنسبة إليه، فإن المؤلف لا يملك وظيفة قولية ضيقة فحسب، وإنما يملك كل المقومات ليعبر عن موقفه الملتزم والإيديولوجي الفاعل"(18).

ويري المفكر والناقد "إدوارد سعيد"أن "النص في كينونته الفعلية كنص له وجود في العالم، ولذلك فإنه يتوجه إلى كل من يريد أن يقرأ"(19)وأن شغله الشاغل هو النص على وجه التخصيص، كما تحدث عن الوعي النقدي لدى النقاد بأنه"جزء من عالمه الاجتماعي الفعلي وجزء من تلك الواقعية التي يستوطنها الوعي، وليس له بحال من الأحوال أي مهرب، لا من هذا ولا من ذلك، فعل الرغم من أن أورباخ كان بعيدا عن أوروبا فإن عمله مستنقع في واقع أوروبا شأنه شأن مساهمة ظروف منفاه الخاصة في نقوه نقاهة نقدية ملموسة" (20).

والنقد في نظره لابد أن يكون معارضا لكل أشكال الهيمنة والطغيان ويتعداه إلى المقاومة ، فعلى النقد أن لا يكتفي بالمعارضة بل يجب أن يكون مقاوما في كل الأحوال، وعلى الناقد أن يناهض سلطة التشكيلات الثقافية المهيمنة والمسيطرة، وعليه أيضا أن يسلط الضوء على التاريخ والعالم ، فمهمة الناقد في نظره تتمثل في امتداد النظرية بالمقاومة إذ يقول:"قد أنحو بالقول بعيدا فأقرر أن مهمة الناقد تتمثل في امتداد النظرية بالمقاومة، لتنفتح على الواقع التاريخي والمجتمع، وحاجات الإنسان واهتماماته، ولتشير إلى تلك المطالب الماثلة في الواقع اليومي ".(21)

لقد تضمنت كلمة البنيوية عدة معاني حسب استخداماتها من طرف الناقد في الأدب والنقد، فقد تضمنت معنى المعرفة الخلّاقة، وفي معنى آخر هو درجة اتصال الأعمال الأدبية وتفاعلها مع أعمال أخرى، ومعنى ثالث هو السمة العجيبة التي وجدها في أكثر الأعمال المكتوبة إدهاشا، يقول في ذلك:"إن الدرجة التي فيها هذه الكتابات متورطة بشكل ما من أشكال التورط في العالم تجعلها تجذب اهتمامي".(22)

كان النقد قبل ورود النقد الجديد يقوم بدراسة النصوص الأدبية لغرض تذوقها وتقريبها من ذهن القاريء، أما الآن فقد ازدحمت في النقد المصطلحات الفنية مما أدى إلى إيجاد فجوة بين القارئ العادي والوسط النقدي ، كما يرى أن "الخطاب النقدي السائد نفسه أصبح يوجه اهتمام النقاد إلى جانب هام واحد من جوانب الخبرة الأدبية وهو الجانب الوظيفي.(23).

تحدث الناقد عن الشكل الرابع الذي تقوم عليه ممارسة النقد وهو النظرية الأدبية التي لم تبلغ مرحلة النضج "إلا في عقد السبعينات(1970)وذلك من جراء الاهتمام المعتمد الملحوظ بالنماذج الأوربية السباقة(من أمثال البنيوية ودلالات الألفاظ والتفكيك)"(24).فعلى الرغم من الجهود السابقة

قبل السبعينات من خلال الدراسات الريادية التي كانت قبل الحرب العالمية التي أنجزها"كانيث بيرك" إلا أنه لم ير فيها الناقد تمام النضج كما هو الحال عليه في السبعينات، لأن هذه النظرية طرحت نفسها بمزاعم جديدة حيث أن الجذور الفكرية لهذه النظرية كانت ذات طابع تمردي وكان ذلك في أواخر الستينيات.

يرى الناقد أن ثمة أمور محفزة جعلت النظرية الأدبية تفرض نفسها فهي ردود أفعال عنيفة ، ومركب محيط بكل الإقطاعات في الإنتاج الفكري حيث يقول:" إن الجامعة التقليدية وهيمنة الحتمية والوضعية وتجسيد الإيديولوجا البورجوازية" للمنزع الإنساني" والحواجز الصارمة بين الإختصاصات : كلها جعلت النظرية الأدبية تطرح نفسها على أنها ردود أفعال عنيفة على كل هذه الأمور التي عملت على ترابط الأسلاف النافذين للمنظّر الأدبي الحالي من أمثال سوسور ولوكاش وباتيل وليفي ستراوس وفرويد ونيتشه وماركس.لقد طرحت نفسها تلك النظرية بأنها مرطب يعتزم الإحاطة بكل الإقطاعات الصغيرة في قلب عالم الإنتاج الفكري"(25).

كما يبين في كتابه أن النظرية الأمريكية والأروبية قد قامتا على المركزية"النصية"، فصارت النصية نقيضا حقيقيا للتاريخ بعد تنحيته والحلول محله فيقول أن:"النظرية الأدبية الأمريكية أو حتى الأوروبية صارت تتقبل الآن مبدأ عدم التدخل بلا تحفظ، وبأن طريقتها الخاصة في اقتناص موضوعها، لا يعني أبدا اقتناص أي شيء دنيوي أو ظرفي أو ملوث اجتماعي"(26).

ويتحدث الناقد عن موقفه من النصوص بأنها دنيوية، فحسبه يجب الاهتمام بالأحداث والظروف التي كانت سببا في إنتاج هذه النصوص، وهذا أمر جوهري ومهم للغاية قائلا في هذا الصدد:"فموقفي من القول بأن النصوص دنيوية، وهي أحداث إلى حد ما، وهي فوق كل هذا وذلك قسط من العالم الاجتماعي والحياة البشرية وقسط بالتأكيد من اللحظات التاريخية التي احتلت مكانها فيها وفسرتها حتى يبدو التنكر لذلك كله"(27).وعليه فلا يمكن الفصل بين النص ما يحيط به، ولذلك فهو دنيوي وليد احتكاك مع الواقع بكل ملابساته.

الوعي النقدي عند الناقد:

يشير "إدوارد سعيد" أن كتابه هذا بأسره هو محاولة للإجابة عن سؤال مفاده: "ما معنى أن يكون لدى المرء وعي نقدي إذا كان موقف المفكر، كما كنت أحاول أن أشير، موقفا دنيويا وإذا كان على الهوية الاجتماعية للمفكر، جراء ذلك النزوع الدنيوي نفسه ، أن تتضمن شيئا أكثر من تعزيز مظاهر تلك الثقافة التي لا تأمر أعضاءها إلا بالتوكيد والامتثال وحسب؟"(28).

وحسب رأيه أنه ثمة قوتين مترابطتين تستقطبان الاهتمام النقدي يقف بينهما الوعي النقدي المعاصر، وكلتا هاتين القوتين مافتئتا تدأبان على ممارسة الضغوط منذ ردح طويل من الزمن إلى أن وصلتا بالنقد إلى وضعه الراهن"فالأولى هي الثقافة التي يرتبط بها النقاد بالقرابة(بالولادة والانتماء القومي والمهنة)، والثانية هي الطريقة أو المنظومة التي يكتسبها النقاد من خلال التقرب(بالقناعة الاجتماعية والسياسية، وبالظروف الاقتصادية والتاريخية، وبالجهد الشخصي والإرادة الحقيقية"(29).فالوعي النقدي مرهون بالثقافة والطريقة التي يكتسبها النقاد من الظروف المحيطة بهم.

الثقافة عند "إدوارد سعيد":

وظف الناقد كلمة "ثقافة"في كتابه" للإشارة إلى بيئة وعملية وهيمنة مطمور فيها الأفراد(في ظروفهم الخاصة) وأعمالهم، فضلا عن أنهم في الوقت نفسه تحت المراقبة من فوق بواسطة البنية الفوقية، ومن تحت بواسطة سلسلة كاملة من المواقف الميثودولوجية"(30).فالثقافة عنده تشير إلى انغماس الأفراد في أعمالهم وظروفهم الخاصة .

ويرى "إدوارد سعيد" أنه في"الثقافة وحدها نستطيع العثور على سلسلة من المعاني والأفكار التي تنقلها لنا عبارات من أمثال"الانتماء إلى مكان، أو في مكان مناسب، وكون المرء في موطنه وفي مكانه المناسبين"(31) فهذه المعاني والأفكار ذات دلالات ثابتة وظاهرة تحدد فكرة الانتماء بصفة عامة، ولا تجد هذه المعاني ضالتها إلا في الثقافة.

فكرة الثقافة بصفة عامة هي فكرة فضفاضة والناقد يعترف بذلك ، ولكن الثقافة، "ككتلة منهجية ذات دلالة سياسية واجتماعية وتاريخية أيضا، فضفاضة بذلك كفكرتها"(32)فالثقافة حسبه تستخدم في مقامين:

*المقام الأول:"لا لتحديد الشيء الذي ينتمي إليه المرء وحسب، وإنما لتحديد الشيء الذي يمتلكه المرء، ناهيك عن تحديدها أيضا.

*المقام الثاني:هنالك بعد أكثر تشويقا لفكرة الثقافة هذه ألا وهو تملكها الامتلاك، أي بما معناه أن الثقافة بمقدورها، بفضل موقعها الرفيع أو السامي، أن تجيز وتهيمن وتحلل وتحرم، وأن تخفض منزلة شيء ما أو أن ترفع مقامه"(33)، فلكي يتحقق التميز لا بد من أن تكون الثقافة وسيلة أساسية للإتيان به في مضمارها أو خارج مضمارها .

إن المقامين يحددان ضرورة استخدام الثقافة بما يمليه كل مقام، فتحديد الأشياء التي يمتلكها الأفراد، وتحديدها في الوقت ذاته، إضافة إلى تحديد الشيء الذي ينتمي إليه الفرد، وذلك من كل الجوانب المحيطة به فيتحدد بذلك الشيء الدخيل على الثقافة، على الذي من أصلها وصلبها.والمقام الثاني هو هيمنة الثقافة واتساع سلطتها على الأشياء دون قيود إلى درجة الخفض أو الرفع من منزلة الأشياء.

لقد حدد الناقد "إدواردو سعيد" عدة مفاهيم في هذا الكتاب، شملت الدنيوية والنقد الثقافي ومفهومه للثقافة بما يخدم أهدافه، حيث تحدث عن الناقد والنص والعالم، فالنصوص ليست منعزلة عن الواقع ، كما أن الناقد حاضر في ما يسطره من نصوص.ومن خلال الكتاب نجد بأن الناقد أحد رواد النقد الثقافي انطلاقا من الأعمال النقدية الممارسة في هذا المؤلَّف، وفي مؤلفات أخرى أعطى نطاقا واسعا للدراسات الثقافية والنقد الثقافي جعلته يحظى بالعالمية في هذا المجال.

الخاتمة:

حاولت من خلال هذه الورقة أن أرصد معالم نظرية النقد الثقافي عند المفكر والناقد "إدوارد سعيد" من خلال كتابة "العالم والنص والناقد" وأن أضع بعض السطور على بعض العناصر المفيدة لأحد الكتب النقدية لهذا الناقد ومن بين ما توصلت إليه:

1- مفاهيم مختلفة ومتعددة للنقد الثقافي باعتباره أعم وأشمل من النقد الأدبي.
2- النقد الثقافي هو امتداد للنقد الأدبي وهو الأوسع والأشمل.
3- التعرف على السيرة الذاتية للمؤلف وسرد بعض من تجربته في الحياة بكل ظروفها.
4- التعرف علي الدنيوية على أنها أبرز قضية انشغل بها.
5- الدنيوية استراتيجية نقدية وثقافية تضع النقد في العالم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.
6- التعامل مع النص على أنه نتاج ثقافي.
7- نضج النظرية الأدبية التي تعتبر الشكل الرابع من أشكال النقد.
8- وقوف الوعي النقدي بين قوتين مترابطتين هما الثقافة والمنظومة التي يكتسبها النقاد من الظروف المحيطة بهم.
9- الثقافة هي فكرة فضفاضة، وهي ككتلة منهجية ذات دلالة سياسية واجتماعية وتاريخية.
10-استخدام الثقافة في مقامين الأول الامتلاك والثاني تملكها الامتلاك.

الهوامش:

(1) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دتح، مادة "ثقف".

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج2، القاهرة، ص14.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 2000، ص74.

(4) زيودينسار دار، بورين فان لور، الدراسات الثقافية، ت وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص8.

(5) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، دط، دت، ص30.

(6) علي شناوة آل وادي، سامر قحطان سليمان، النقد الفني دراسة في المفاهيم والتطبيقات، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2014م، ص151.

(7) عبد الله محمد الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، ط2، 2005م، الدار البيضاء ص 83-84.

(8) عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص84.

(9) عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص7-8.

(10) www.aljazeera.net

(11) www.aljazeera.net

(12) حفناوي بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة(ترويض النص وتقويض الخطاب)، أمانة عمان، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ص264.

(13) ينظر، فريال حيوري غزول، إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، مجلة فصول، القاهرة، ديسمبر1983م، ص186.

(14) إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، (دراسة نقدية)، ترعبد الكريم محفوض، اتحاد الكتاب العرب، ط1، 2000م ، ص32.

(15) ينظر إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ص05.

(16) إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد ، ص08.

(17) شيلي واليا، إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، تر أحمد خريس وناصر أبو هجاء، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 ، 2007م ، ص62.

(18) شيلي واليا، إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، ص61.

(19) إدوارد سعيد، العالم والنص والنافد، ص39.

(20) إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ص21.

(21) شيلي واليا، إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، ص62.

(22) فخري صالح، النقد والمجتمع(حوارات)، دار كنعان، دمشق، ط1، 2004م، ص147-148.

(23) ينظر إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ص176.

(24) إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م، ص32.

(25) إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ص6.

(26) المصدر السابق، ص6.

(27) المصدر السابق، ص6.

(28) المصدر السابق، ص7.

(29) المصدر السابق، ص23.

(30) المصدر السابق، ص24.

(31) المصدر السابق، ص10.

(32) المصدر السابق، ص10.

(33) المصدر السابق، ص10.

(34) المصدر السابق، ص10-11.